٩ مَنْ كَانَ مِثْلِي لَمْ يَبِتْ إِلَّا أَسِيرًا أَوْ أَمِيرَا
١٠ لَيْسَتْ تَحُلُّ سَرَاتُنَا إِلَّا ٱلصُّدُورَ أَوِ ٱلْقُبُورَا

١٦٠

وَقَالَ، يَفْتَخِرُ، وَقَدْ بَلَغَهُ أَنَّ ٱلرُّومَ قَالَتْ: مَا أَسَرْنَا أَحَدًا لَمْ نَسْلُبْ سِلَاحَهُ غَيْرَ «أَبِي فِرَاس»:

— من الطويل —

١ أَرَاكَ عَصِيَّ ٱلدَّمْعِ، شِيمَتُكَ ٱلصَّبْرُ، أَمَا لِلْهَوَى نَهْيٌ عَلَيْكَ وَلَا أَمْرُ؟
٢ بَلَى، أَنَا مُشْتَاقٌ، وَعِنْدِي لَوْعَةٌ، وَلَكِنَّ مِثْلِي لَا يُذَاعُ لَهُ سِرُّ!
٣ إِذَا ٱللَّيْلُ، أَضْوَانِي بَسَطْتُ يَدَ ٱلْهَوَى وَأَذْلَلْتُ دَمْعاً مِنْ خَلَائِقِهِ ٱلْكِبْرُ

— (٩) ب: «أميرًا أو أسيرًا» — ف، طا: «إلا قتيلًا أو أسيرًا» — (١٠) ف: «إلا القصور أو القبورا»

١٦٠ — [تكاد تكون هذه القصيدة أشهر ما عرف لأبي فراس، تناقلتها أكثر كتب الأدب، وأكثر المجاميع الشعرية، فوجدناها مبعثرة، في مختلف النسخ والمخطوطات التي تروي للشعراء المشاهير المبرزين، مختلفة أشد الاختلاف في رواية أبياتها وعددها، ففي ح ٣١ بيتاً، وفي ط، طا ٣٩، وفي ب ٤٦ بيتاً الخ...] — (١) ط: «وقال يفتخر» — طا: «وقال يفتخر وهذه القصيدة من غرر قصائده، المتداولة على ألسنة الناس، وقد كساها من حلل البلاغة أبهى لباس» — بج: «قال أبو فراس لما بلغه أن الروم اعتدوه أمانة، ولم يؤسر احد لم يترك دروعه ولم يسلب سلاحه غيره» — وهذا النص الذي ننشره اعتمدنا في وضعه على مخطوطتي ب، تي — ب: «لم نسلب ثيابه» — ح: «وقال وهي من غرر قصائده» — ي: «وقال من قصيدة» — (١) تنفرد «بج» بين سائر النسخ التي قابلناها، بايراد مطلع للقصيدة لم نجده في غيرها وهو:
«مَرَامُ ٱلْهَوَى صَعْبٌ، وَسَهْلُ ٱلْهَوَى وَعْرُ وَأَوْعَرُ مَا حَاوَلْتُهُ ٱلْحُبُّ وَٱلْهَجْرُ»
فلم نستطع أن نتبع النسخة هذه، رغم أنها من أقدم النسخة الخطية التي تحوي ديوان أبي فراس، ورغم ما في كلمة «الثعالبي»: «من قصيدة»؛ لأن الروايات المختلفة الأخرى ورواة شعر أبي فراس لم يوردوا إلَّا المطلع المشهور — (٢) طا: «نعم أنا مشتاق» — «لا يذاع له سر» — بج: «لا يذيع» — ف: «لا يضيع» — (٣) ي: «اذا الليل أضوى بي بسطت

٤ تَـكَادُ تُضِيءُ ٱلنَّارُ، بَيْنَ جَوَانِحِي، إِذَا هِيَ أَذْكَتْهَا ٱلصَّبَابَةُ وَٱلْفِكْرُ
٥ مُعَلِّلَتِي بِٱلْوَصْلِ، وَٱلْمَوْتُ دُونَهُ، إِذَا مِتُّ ظَمْآنًا، فَلَا نَزَلَ ٱلْقَطْرُ!
٦ حَفِظْتُ وَضَيَّعْتِ ٱلْمَوَدَّةَ بَيْنَنَا وَأَحْسَنَ، مِنْ بَعْضِ ٱلْوَفَاءِ لَكِ، ٱلْعُذْرُ
٧ وَمَا هَذِهِ ٱلْأَيَّامُ إِلَّا صَحَائِفٌ لِأَحْرُفِهَا، مِنْ كَفِّ كَاتِبِهَا، بَشْرُ
٨ بِنَفْسِي، مِنَ ٱلْغَادِينَ فِي ٱلْحَيِّ، غَادَةً هَوَايَ لَهَا ذَنْبٌ، وَبَهْجَتُهَا عُذْرُ
٩ تَرُوغُ إِلَى ٱلْوَاشِينَ فِيَّ، وَإِنَّ لِي لَأُذْنًا بِهَا، عَنْ كُلِّ وَاشِيَةٍ، وَقْرُ
١٠ بَدَوْتُ، وَأَهْلِي حَاضِرُونَ، لِأَنَّنِي أَرَى أَنَّ دَارًا، لَسْتِ مِنْ أَهْلِهَا، قَفْرُ
١١ وَحَارَبْتُ قَوْمِي فِي هَوَاكِ، وَإِنَّهُمْ وَإِيَّايَ، لَوْلَا حُبُّكِ، ٱلْمَاءُ وَٱلْخَمْرُ
١٢ فَإِنْ كَانَ مَا قَالَ ٱلْوُشَاةُ وَلَمْ يَكُنْ فَقَدْ يَهْدِمُ ٱلْإِيمَانُ مَا شَيَّدَ ٱلْكُفْرُ
١٣ وَفَيْتُ، وَفِي بَعْضِ ٱلْوَفَاءِ مَذَلَّةٌ، لِآنِسَةٍ فِي ٱلْحَيِّ شِيمَتُهَا ٱلْغَدْرُ
١٤ وَقُورٌ، وَرَيْعَانُ ٱلصِّبَا يَسْتَفِزُّهَا، فَتَأْرَنُ، أَحْيَانًا، كَمَا يَأْرَنُ ٱلْمُهْرُ
١٥ تُسَائِلُنِي: «مَنْ أَنْتَ؟»، وَهْيَ عَلِيمَةٌ، وَهَلْ بِفَتًى مِثْلِي عَلَى حَالِهِ نُكْرُ؟

يد الرجا» — بد (رقم ٦٦٥) : «الليل واراني» — بد ، م : «الليل أخفاني» — بج : «يد البكا» — (٥) ط ، ب ، طا : «معللتي بالوعد» — با ، به ، م : «معللتي بالوصل» — به (رقم ٣٢٧) : «والموت دونها» — ب ، ط : «إذا مت عطشانًا» — (٦) أخذناه عن نسخة من زمرة : بد (رقم Pet. 354) وقابلناه على ح — به : «من بعد الوفاء» — (٧) تنفرد نسخة ف برواية هذا البيت — (٨) ب : «بنفسي من الغادين» — به ، بد ، ف : «في الغادين» — م : «بنفسي مع الغادين» — ناقص في ط ، طا — (٩) ناقص في ط ، طا — (١٠) ط : «أرى ان دار العشق من أهلها قفر» — بد : « لست في أهلها » — (١١) في عيون التواريخ (ورقة ٧٩ و) : «وحاربت أهلي» — (١٢) ترتيب البيت مضطرب في ب — ط ، طا : «وان كان ما قال» — ف ، بج : «فقد يهدم الاسلام» — (١٣) طا ، بد : «لآنسةٍ في الحي» — ب : «لإنسانة» — وفي ش يخطئ استعمال هذه الكلمة — (١٥) ط ، طا ، ب ، عيون التواريخ : «وهل بفتى مثلي» — ب : «مثلي على مثلها نكر»

١٦ فقُلْتُ: كَمَا شَاءَتْ، وَشَاءَ لَهَا ٱلْهَوَى: «قَتِيلُكِ!» قَالَتْ: «أَيُّهُمْ؟ فَهُمُ كُثْرُ!»
١٧ فقُلْتُ لَهَا: «لَوْ شِئْتِ لَمْ تَتَعَنَّتِي، وَلَمْ تَسْأَلِي عَنِّي، وَعِنْدَكِ بِي خُبْرُ!»
١٨ فقَالَتْ: «لَقَدْ أَزْرَى بِكَ ٱلدَّهْرُ بَعْدَنَا!» فَقُلْتُ: «مَعَاذَ ٱللهِ! بَلْ أَنْتِ لَا ٱلدَّهْرُ،
١٩ وَمَا كَانَ لِلْأَحْزَانِ، لَوْلَاكِ، مَسْلَكٌ إِلَى ٱلْقَلْبِ؛ لَكِنَّ ٱلْهَوَى لِلْبِلَى جِسْرُ»
٢٠ وَتَهْلِكُ، بَيْنَ ٱلْهَزْلِ وَٱلْجِدِّ، مُهْجَةٌ؛ إِذَا مَا عَدَاهَا ٱلْبَيْنُ عَذَّبَهَا ٱلْهَجْرُ
٢١ فَأَيْقَنْتُ أَنْ لَا عِزَّ، بَعْدِي، لِعَاشِقٍ؛ وَأَنَّ يَدِي مِمَّا عَلِقْتُ بِهِ صِفْرُ
٢٢ وَقَلَّبْتُ أَمْرِي لَا أَرَى لِيَ رَاحَةً، إِذَا ٱلْهَمُّ أَسْلَانِي أَلَحَّ بِيَ ٱلْهَجْرُ
٢٣ فَعُدْتُ إِلَى حُكْمِ ٱلزَّمَانِ وَحُكْمِهَا، لَهَا ٱلذَّنْبُ لَا تُجْزَى بِهِ وَلِيَ ٱلْعُذْرُ
٢٤ كَأَنِّي أُنَادِي، دُونَ مَيْثَاءَ، ظَبْيَةً، عَلَى شَرَفٍ ظَمْيَاءَ، جَلَّلَهَا ٱلذُّعْرُ
٢٥ تَجَفَّلُ حِيناً، ثُمَّ تَدْنُو كَأَنَّمَا تُنَادِي طَلًا، بِٱلْوَادِ، أَعْجَزَهُ ٱلْحُضْرُ
٢٦ فَلَا تُنْكِرِينِي، يَٱبْنَةَ ٱلْعَمِّ، إِنَّهُ لَيَعْرِفُ مَنْ أَنْكَرْتِهِ: ٱلْبَدْوُ وَٱلْحَضْرُ
٢٧ وَلَا تُنْكِرِينِي، إِنَّنِي غَيْرُ مُنْكَرٍ إِذَا زَلَّتِ ٱلْأَقْدَامُ؛ وَٱسْتُنْزِلَ ٱلنَّصْرُ

— (١٧) ناقص في ط ، ب – بد: «لم تتغيبي» – وربما كانت «لم تتعتبي» – وهنا يضطرب ترتيب الأبيات في مختلف النسخ — (١٩) ناقص في ط ، ب – طا: «ولا كان للأحزان عندي مسلك» — (٢٠) هذا البيت والذي قبله اعتمدنا في روايتها نسخة (Pet. 354 ، إحدى نسخ زمرة بد) – وهما ناقصان في أكثر النسخ – ف: «عذبها الفكر» — (٢٢) ب: «اذا الهم أسلاني» – ف: «وقلبت طرفي» – بج: «أرى البين أضواني ألح به الحجر» – بد: «لا أرى لي حاجة» —(٢٤) ط: «دون متناه» – به: «حلاهما الذعر» – م: «دون مياه . . . جللها الذعر» – طا: «حليتها الذعر» – ط: «احلامها الذعر» — (٢٥) بج ، ط: «ثم تدنو وانما» – ب: «تجفل أحيانًا وتدنو كأنما» – ف: «حينًا ثم تبدو كأنها» – م: «حينًا ثم ترنو وانما» – ط: «تنادي طلًا بالوادي اعجزه الحصر» –طا: «تنادي طلًا بالجري أعجزه» – ب: «بالواد أعجزه الحضر» – با: «تراعي طلاب الود أعجزه» – به: «تراعي طلابًا عنه أعجزه الحصر» — (٢٦) ناقص في ط ، طا ، ح – ب: «ما أنكرته» — (٢٧) ناقص في ط ، طا ، ح –

٢٨ وَإِنِّي لَجَرَّارٌ لِكُلِّ كَتِيبَةٍ ... مُعَوَّدَةٍ أَنْ لَا يُخِلَّ بِهَا ٱلنَّصْرُ
٢٩ وَإِنِّي لَنَزَّالٌ بِكُلِّ مَخُوفَةٍ ... كَثِيرٌ إِلَى نُزَّالِهَا ٱلنَّظَرُ ٱلشَّزْرُ
٣٠ فَأَظْمَأُ حَتَّى تَرْتَوِي ٱلْبِيضُ وَٱلْقَنَا ... وَأَسْغَبُ حَتَّى يَشْبَعَ ٱلذِّئْبُ وَٱلنَّسْرُ
٣١ وَلَا أُصْبِحُ ٱلْحَيَّ ٱلْخَلُوفَ بِغَارَةٍ ... وَلَا ٱلْجَيْشَ مَا لَمْ تَأْتِهِ، قَبْلِيَ ٱلنُّذْرُ
٣٢ وَيَا رُبَّ دَارٍ، لَمْ تَخَفْنِي، مَنِيعَةٍ ... طَلَعْتُ عَلَيْهَا بِٱلرَّدَى، أَنَا وَٱلْفَجْرُ
٣٣ وَحَيٍّ رَدَدْتُ ٱلْخَيْلَ حَتَّى مَلَكْتُهُ ... هَزِيمًا وَرَدَّتْنِي ٱلْبَرَاقِعُ وَٱلْخُمْرُ
٣٤ وَسَاحِبَةِ ٱلْأَذْيَالِ نَحْوِي، لَقِيتُهَا ... فَلَمْ يَلْقَهَا جَهْمُ ٱللِّقَاءِ، وَلَا وَعْرُ
٣٥ وَهَبْتُ لَهَا مَا حَازَهُ ٱلْجَيْشُ، كُلَّهُ، ... وَرُحْتُ، وَلَمْ يُكْشَفْ لِأَثْوَابِهَا سِتْرُ
٣٦ وَلَا رَاحَ يُطْغِينِي بِأَثْوَابِهِ ٱلْغِنَى؛ ... وَلَا بَاتَ يَثْنِينِي عَنِ ٱلْكَرَمِ ٱلْفَقْرُ
٣٧ وَمَا حَاجَتِي بِٱلْمَالِ أَبْغِي وُفُورَهُ؟ ... إِذَا لَمْ أَفِرْ عِرْضِي فَلَا وَفَرَ ٱلْوَفْرُ

ب: «فلا تنكريني إنني متنكر» – بج: «غير منكر» – ب: «واستنزل القصر» — (٢٨) في هذا البيت والذي يليه اضطراب في كثير من النسخ، فبعضها تستعير عجز البيت الأول لصدر البيت الثاني؛ والعكس على العكس – م: «معودة من أن يحل» – بد، ط: «أن لا تحل بها النصر» – ب: «أن لا يحل بها سفر» — (٢٩) ب: «كثير إلى ابطالها النظر» — (٣٠) بج، ي: «وأصدأ حتى ترتوي» – ط: «فأصدم حتى» – طا: «فأصدى إلى أن ترتوي» – ف: «ترتوي الخيل» – به (رقم Sp. 1228): «ترتوي الأرض والقنا» – ط: «وأشغب حتى يرتوي الذئب والنسر» — (٣١) طا: «ولا أصبح الحي الغيور لغادة أو الجيش» – م، بد: «بغادة ولا الجيش حتى يأته» – بج: «بغارتي» — (٣٢) ط: «ويارب واد» – «وأنا الفجر» — (٣٣) ب: «وحي ملكت الخيل حتى رددته» – م: «وردت الخيل حتى ملكته» – ناقص في ط، طا، ح — (٣٤) ط، طا، ف: «جافي اللقاء» — (٣٥) م: «وردت بها ما حازه» – بد (رقم Pet. 665): «رددت لها ما حازه» – ب: «وأبت ولم يكشف لأثوابها» – بد، م: «لأذيالها ستر» – ط، طا، ف: «لأبياتها» – بج: «فأبت» — (٣٦) ب: «وما راح يطغيني» — (٣٧) ط، طا: «في المال» – م: «أبغي وفوده» – بج: «لم يفر عرضي» – ف: «عرضًا» – م: «اذا لم يعز»

٣٨ أُسِرْتُ وَمَا صَحْبِي بِعُزْلٍ، لَدَى ٱلْوَغَى، ... وَلَا فَرَسِي مُهْرٌ، وَلَا رَبُّهُ غُمْرُ!

٣٩ وَلَـكِنْ إِذَا حُمَّ ٱلْقَضَاءُ عَلَى ٱمْرِئٍ ... فَلَيْسَ لَهُ بَرٌّ يَقِيهِ، وَلَا بَحْرُ!

٤٠ وَقَالَ أُصَيْحَابِي: «ٱلْفِرَارُ أَوِ ٱلرَّدَى؟» ... فَقُلْتُ: «هُمَا أَمْرَانِ؛ أَحْلَاهُمَا مُرُّ»

٤١ وَلَـكِنَّنِي أَمْضِي، لِمَا لَا يَعِيبُنِي ... وَحَسْبُكَ مِنْ أَمْرَيْنِ خَيْرُهُمَا ٱلْأَسْرُ

٤٢ يَقُولُونَ لِي: «بِعْتَ ٱلسَّلَامَةَ بِٱلرَّدَى» ... فَقُلْتُ: «أَمَا وَٱللهِ، مَا نَالَنِي خُسْرُ»

٤٣ وَهَلْ يَتَجَافَى عَنِّي ٱلْمَوْتُ سَاعَةً، ... إِذَا مَا تَجَافَى عَنِّيَ ٱلْأَسْرُ وَٱلضُّرُّ؟

٤٤ هُوَ ٱلْمَوْتُ، فَٱخْتَرْ مَا عَلَا لَكَ ذِكْرُهُ ... فَلَمْ يَمُتِ ٱلْإِنْسَانُ مَا حَيِيَ ٱلذِّكْرُ

٤٥ وَلَا خَيْرَ فِي دَفْعِ ٱلرَّدَى بِمَذَلَّةٍ ... كَمَا رَدَّهَا، يَوْمًا، بِسَوْءَتِهِ «عَمْرُو»

٤٦ يَمُنُّونَ أَنْ خَلَّوْا ثِيَابِي؛ وَإِنَّمَا ... عَلَيَّ ثِيَابٌ، مِنْ دِمَائِهِمُ، حُمْرُ

٤٧ وَقَائِمُ سَيْفِي، فِيهِمُ، ٱنْدَقَّ نَصْلُهُ ... وَأَعْقَابُ رُمْحِي، فِيهِمُ، حُطِّمَ ٱلصَّدْرُ

٤٨ سَيَذْكُرُنِي قَوْمِي، إِذَا جَدَّ جِدُّهُمْ، ... [وَفِي ٱللَّيْلَةِ ٱلظَّلْمَاءِ، يُفْتَقَدُ ٱلْبَدْرُ]

٤٩ فَإِنْ عِشْتُ فَٱلطَّعْنُ ٱلَّذِي يَعْرِفُونَهُ ... وَتِلْكَ ٱلْقَنَا، وَٱلْبِيضُ وَٱلضُّمَّرُ ٱلشُّقْرُ

—— (٣٨) ح: «ولا صحبي بعزل» – ط: «اثرت وما صحبي بغل عن الوغى ولا فرسي مهر ولا لابتي غمر» – به: «ولا ربه عمرو» – من البيت ٢٨ حتى ٣٨ ناقص في ح وزمرتها —— (٤٠) ب: «أحلاها المر» —— (٤٢) ناقص في ط، طا – ب: «فقلت لهم والله ما نالني خسر» —— (٤٣) أخذنا هذا البيت عن ح، ف – ف: «عني الأمر والنصر» – ناقص في ط، طا —— (٤٤) ب: «ما حلالك ذكره» – ف، ح: «ما علالك» – ب: «ولم يمت الانسان» —— (٤٥) ب: «ولا خير في رد الأذى» – م: «ولا جير في دفع» – طا، ط، ف: «في دفع الردى» – ب: «كما رده يومًا» —— (٤٧) ط، طا: «وقائم سيف فيهم دون نصله» – ب: «فيهم دق نصله» – ط، طا: «وأعقاب رمح» – ب: «منهم حطمى الصدر» – ف: «انحطم الصدر» – م: «فيهم حطم» —— (٤٨) في أكثر النسخ: «ستذكرني قومي» وعجز البيت لعنترة —— (٤٩) ناقص في ط، طا، ح – م، به: «تعرفونه» – بج: «وتلك القنى والدهم والبيض والشقر»

٥٠ وَإِنْ مِتُّ، فَالْإِنْسَانُ لَا بُدَّ مَيِّتٌ، وَإِنْ طَالَتِ الْأَيَّامُ، وَانْفَسَحَ الْعُمْرُ
٥١ وَلَوْ سَدَّ غَيْرِي، مَا سَدَدْتُ، اكْتَفَوْا بِهِ؛ وَمَا كَانَ يَغْلُو التِّبْرُ، لَوْ نَفَقَ الصُّفْرُ
٥٢ وَنَحْنُ أُنَاسٌ، لَا تَوَسُّطَ عِنْدَنَا، لَنَا الصَّدْرُ، دُونَ الْعَالَمِينَ، أَوِ الْقَبْرُ
٥٣ تَهُونُ عَلَيْنَا فِي الْمَعَالِي نُفُوسُنَا؛ وَمَنْ خَطَبَ الْحَسْنَاءَ لَمْ يُغْلِهَا الْمَهْرُ
٥٤ أَعَزُّ بَنِي الدُّنْيَا، وَأَعْلَى ذَوِي الْعُلَا، وَأَكْرَمُ مَنْ فَوْقَ التُّرَابِ، وَلَا فَخْرُ

١٦١

وَلَهُ، إِلَى أَخِيهِ «أَبِي الْفَضْلِ»، يَسْتَزِيرُهُ، وَهُمَا أَسِيرَانِ. وَإِنَّمَا لَمْ يُتْرَكْ «أَبُو فِرَاسٍ»، مَعَ الْأَسْرَى، فِي دَارِ الْبَلَاءِ، إِجْلَالًا لَهُ وَإِكْرَامًا، لِعُلُوِّ شَأْنِهِ وَعِظَمِهِ:

— من الطويل —

١ أَتَتْرُكُ إِتْيَانَ الزِّيَارَةِ، عَامِدًا، وَأَنْتَ عَلَيْهَا، لَوْ تَشَاءُ، قَدِيرُ؟
٢ وَعَيْشِكَ، لَوْلَا مَا عَلِمْتَ لَمَا وَنَتْ إِلَى الدَّارِ، مِنِّي رَوْحَةٌ وَبُكُورُ
٣ فَكَمْ كَانَ رَأْيِي، فِي لِقَائِكَ، نَافِذًا وَرَأْيُكَ فِيهِ وُنْيَةٌ وَفُتُورُ؟
٤ تَقُولُ: «غَدًا آتِي!»؛ وَلَوْ كُنْتَ رَاغِبًا، لَطَالَ عَلَيْكَ اللَّيْلُ، وَهْوَ قَصِيرُ

— (٥٠) ناقص في أكثر النسخ، فاعتمدنا ب في روايته — (٥١) م: «وما كان يغني التبر» — (٥٢) طا، به (رقم We. 1547): «لا توسط بيننا» — به (رقم Sp. 1228): «لا تفاوت بيننا» — ط: «لا توسط عندها» — (٥٣) بد (رقم Pet. 327): «ومن يعشق الحسناء لم يغله المهر» — به، وعيون التواريخ: «لم يغلها مهر» — ف، م: «لم يغله مهر» — ط: «ومن خطب الحسناء لم يغلها» — طا: «ومن يخطب الحسناء» — (٥٤) ف: «وأعلى ذوي النهى» — بج: «وأشرف من فوق التراب»

١٦١ — (٣) ب: «فلم كان . . . نية»